186418 ـ الحكمة من توالي عرض الأعمال على الله : يوميا فأسبوعيا فسنويا .

السؤال

جاء في إحدى فتاويكم التي هي برقم (44021) أنّ عرض الأعمال على ثلاثة أنواع :
1-عرض يومي .
2-عرض أسبوعي .
3-عرض سنوي (الذي هو بشعبان) .
عندي إشكال ، ألا وهو : إذا كان هناك عرض يومي على مدار السنّة ، فلا حاجة إذن إلى الأسبوعي الذي يحوي اليومي ، ولا حاجة كذلك إلى العرض السنوي الذي يحويهما جميعًا ، فهل هذا صحيح ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :
رفع الأعمال وعرضها على الله تعالى يوميا وأسبوعيا وسنويا دلت عليه السنة الصحيحة وكلام أهل العلم ؛ كما تقدم بيانه في جواب السؤال رقم : (44021) .

وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز لأحد أن يقترح على الله ، أو أن يرى في شرعه ما يخالف الحكمة ، فيحصل له تشويش وارتياب ، وإنما الواجب أن يقول كما قال المؤمنون قبله : سمعنا وأطعنا . وإنما الذي ينسب إليه الجهل ، وقلة الفهم ، وغياب الحكمة : هو نفس العبد ، وفهمه وعقله .
وقد كان مساق السؤال أن يقال أيضا : فما الحاجة إلى العرض من أصله ، ما دام الله تعالى قد علم أعمال العباد جميعها ؟! وما الحاجة إلى أن تكتب الملائكة أعمال العباد ، ما دام الله قد كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ، قبل خلق السموات والأرض ؟!
والأسئلة التي ترد على هذا المساق كثيرة جدا ، بحيث يصعب على العبد أن يغلق على نفسه باب الوساوس ، متى فتحها .
لكن إن كان السؤال عن الحكمة من عرض الأعمال على الله تعالى ، كل يوم ، ثم كل أسبوع ، ثم كل سنة ، على ما ثبت في السنة : فهذا يقال فيه : الله أعلم بحكمته في ذلك ، فهو لم يبينها لنا ، ولم يبينها لنا رسوله صلى الله عليه وسلم .
جاء في "العقيدة الطحاوية، وشرحها" (1/231) :
" قَوْلُهُ: (وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالْاسْتِسْلَامِ) .

ش: هَذَا مِنْ بَابِ الْاسْتِعَارَةِ ، إذِ الْقَدَمُ الْحِسِّيُّ لَا تَثْبُتُ إلَّا عَلَى ظَهْرِ شَيْءٍ ، أَيْ لَا يَثْبُتُ إسْلَامُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ ، وَيَنْقَادُ إلَيْهَا ، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهَا وَلَا يُعَارِضُهَا بِرَأْيِهِ وَمَعْقُولِهِ وَقِيَاسِهِ ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: مِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَمِنَ الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ. وَهَذَا كَلَامٌ جَامِعٌ نَافِعٌ ." انتهى .

ويقول الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله :

" واعلم أن الخطة الفاصلة بيننا وبين كل مخالف : أننا نجعل أصل مذهبنا الكتاب والسنة ، ونستخرج ما نستخرج منهما ، ونبنى ما سواهما عليهما ، ولا نرى لأنفسنا التسلط على أصول الشرع حتى نقيمها على ما يوافق رأينا وخواطرنا وهواجسنا ؛ بل نطلب المعانى : فإن وجدناها على موافقة الأصول من الكتاب والسنة ، أخذنا بذلك ، وحمدنا الله تعالى على ذلك ، وإن زاغ بنا زائغُ ضعْفِنا عن سواء صراط السنة ، ورأينا أنفسنا قد ركبت البُنَيّات وتركت الجُدُد ، اتهمنا آراءنا ، فرجعنا باللائمة على نفوسنا ، واعترفنا بالعجز ، وأمسكنا عنان العقل ، لئلا يتورط بنا في المهالك والمهاوي ، ولا يعرضنا للمعاطب والمتالف ، وسلمنا للكتاب والسنة ، وأعطينا المقادة ، وطلبنا السلامة ، وعرفنا أن قول سلفنا حق : أن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم .. " .

انتهى من " قواطع الأدلة في أصول الفقه " (2/411) .

والله تعالى أعلم .